الزّ ُهد.. وعي وعمل

◄قيل في الزُ ّهد الكثير، ومن ذلك، ترك الحرص في الدّ ُنيا، وترك ما لا ينفع في الآخرة. وقيل في الزّ ُهد: ليس الزُ ّهد في الدّ ُنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يدي ا أوثق منك بما في يديك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها، أرغب منك فيها لو لم تصبك.

وورد الكثير من الآيات القرآنية التي تشير إلى التزهيد في الدّ ُنيا الفانية وما فيها من زخارف، منها قوله تعالى: (قُلْ مَتَاعُ الدّ ُنْيَا قَلِيلٌ) (النّ ِساء/ 77). وقوله تعالى: (اعْلَمُوا أَنّ َمَا الْحَيَاةُ الدّ ُنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأمْوَالِ وَالأوْلادِ) (الحديد/ 20).

ويدعونا ا تعالى إلى تربية النفس على عدم التعلّق بشيء من هذه الدّ ُنيا، وعدم الاستغراق فيها إلى درجة الخروج عن الطبيعة، بحيث يعيش الإنسان العجب والكبر في نفسه بما بين يديه وما قد فاته ولم يحصّ ِله، وإلى أن يكون غير متأثّر بأيّ شكل من أشكال الفتنة في الدّ ُنيا، من مال ومنصب وولد وجاه وحظوة ووجاهة، وأن يعرف أنّ لهذه الأُمور والمتاع حدوداً وغايات يجب مراعاتها وعدم الانحراف من خلالها، فهي فانية في لحظة من اللحظات، فلا تمتلك خلوداً في ذاتها ولا ديمومة، لذا عليه أن يبقى عبداً طائعاً ، محافظاً على دينه، مهما ملك من الدّ ُنيا، فلا ينسى ربّ َه ولا دينه ولا آخرته، قال تعالى: (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللّ َهُ لا يُحِبّ ُ كُلّ َ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد/ 23).

والزّ ُهد في الدّ ُنيا ليس معناه الانعزال عن الحياة وهجران المسؤوليات والتهرّب من مواجهة أزمات الواقع، فهذا لا يعدّ ُ زُهداً، إنّما الزّ ُهد الإيجابي أن يقتحم الإنسان تحدّيات الحياة، ويستثمر طاقاته في إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل، من خلال ممارسة دوره الطبيعي في تحمّل الأمانة، فا تعالى يريد منّا أن نكون زُهّاداً مخلصين فاعلين في الحياة، لا هاربين من إحيائها بالحقّ والعدل ونشر الفضائل.

كما أنّ الزّ ُهد في الدّ ُنيا معناه ترك المعاصي وهجران الذنوب، والإقبال على كلّ عمل وموقف حقّ يقرّبنا من الباري تعالى، ويزيدنا سموّاً في عقولنا ومشاعرنا وقلوبنا، حيث تنفتح على الخير والرحمة والمحبّة والمودّة ونبذ العصبية والحقد والرذائل.

الزّ ُهد معناه أن يصبح المرء في مرتبة عالية من النّ ُضج والوعي والإدارك لكلّ قضايا الحياة والوجود، فلا يعيش طول الأمل في الدّ ُنيا، بل يكون أمله قصيراً، عارفاً بأنّ ما فيها سرعان ما يذوي، فيسرع في الزيادة من الأعمال النافعة التي تبرز مدى إخلاصه مع ربّه وصدقه في طاعته وإيمانه.

فلننتبه من استغراقنا في المظاهر الدنيوية والحرص عليها، ولنكن من عباد ا الزّاهدين الواعين الفاعلين في الحياة، الذين يحملون في نفوسهم كلّ خير، ويغدقون من مشاعرهم ومواقفهم كلّ رحمة وفضيلة على مجتمعهم.

وفي هذا السياق، نستحضر كلمةً عن الزّ ُهد قالها أمير المؤمنين عليّ (ع): «الزّ ُهد تقصير الآمال وإخلاص الأعمال».►